Lundi — 25 — 10 — 1948

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Le No. 799

بدل الاشتراك عن

مصر
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩٩ القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ ذو الحجة سنة ١٣٦٧ — ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٤٨ السنة السادسة عشرة

أول ما عرفت شـــوقى

(بمناسبة ذكراه السادسة عشرة)

عرفت شوقى عن عيان سنة ١٩٢٧ فى المهرجان الذى أقيم لتكريمه فى القاهرة. عرفنى به صديق الأستاذ محمد كرد على، وكان قد وفد فيمن وفدوا من أقطاب الأدب وأعيان العرب ليشاركوا مصر فى تكريم شاعر العربية العظيم؛ فذهبت إليه فى فندق الكنتنتال أزوره، فوجدته بالشرفة جالساً فى قلادة من أولى الفضل يتوسطها شوقى. فلما رآنى مقبلا هش لى ورفّ على، وقال لشوقى وهو يبتسم ويتهلل: هـذا هو الرجل الذى أنصفك! فلما استمانى الشاعر النابه عجب الأستاذ كرد على ألا يكون بيننا تعارف ونحن نعيش فى بلد واحد ونسير فى طريق واحد. وسمانى له، فتلقانى ببشره وشكره وأنسه. ثم توثقت بينى وبينه أسباب المودة سنتين كاملتين رحلت بعدهما إلى العراق. وفى أثناء مقامى ببغداد اصطفاه الله لجواره، فلم أره بعد ذلك إلا رؤيا، ولم أتمثله إلا ذكرى!

كان الأستاذ كرد على بشير بانصافى لشوقى إلى مقال نشرته يومئذ فى العدد الخاص بتكريمه من (السياسة الأسبوعية) عنوانه (ما لشوقى وما عليه)؛ وكان أكثر ما كتب فى هذا العدد عن شوقى أقرب إلى النكير وأدنى إلى الجرح، فداخل شوقى ظنون من إخراج هذا العدد، وحك فى صدره أشياء من جهة هيكل؛ وأرهج بعض الناس بين الصديقين بالفساد حتى كاد أن تقع بينهما جفوة.

قال لى شوقى وقد أخذ بذراعى والقوم منصرفون: إنى أشكرك على نقدك وتقريظك على حد سواء، فان الحق فيما أخذت لى ظاهر، والعدل فيما أخذت على صريح. وإنى أسلم لك ما عددت من هفواتى وأرده إلى اختلاف الأثر بين عصرين وثقافتين وذوقين. وليس من السهل أن يتجرد الشاعر أو الكاتب جملة أو فجأة من عوامل الوراثة والدراسة والبيئة. ولكن ما رأيك فيما كتب فلان وفلان؟ وهل كان من مقتضيات الحال أن تنشر مجلة صديق هيكل آراء خصومى فى عدد تكريمى؟ فقلت له: إن رئيس تحرير السياسة كاتب يعرف قيمة النقد، ويرعى حرمة الرأى؛ وقد طلب إلى طائفة من أعلام الأدب أن يدلوا بآرائهم فى الشاعر من غير تحديد لجهة، ولا تعيين لقصد، ليكون العدد الخاص على ما أعتقد دراسة فنية شاملة لنواحى الشاعر تتعارض فيها الآراء، وتتقارع فيها الحجج، فتتألف من هنا ومن هناك صورة تامة لفن الأمير تكون فى وسط هذا المهرجان تمثالا فيه الجمال والجلال، ولكن فيه كذلك الصفات الطبيعية الأخرى التى يريدها الخالق الكامل للمخلوق الناقص. فقال شوقى بصوته الخفيض وابتسامته الوديعة: يظهر أنك لا تقرأ ما بين السطور ولا تعرف ما وراء الستور. فقلت له: ربما!

ووقعت بنا سيارته على (كرمة ابن هانئ)، وكانت ليلتئذ تتلألأ بالنور والسرور، وتزدان بالزهور والحضور. فأصاب

القوم ما شاءوا من مرئ الطعام وهنيء الشراب ، ثم تجمعوا زمراً فوق أرائك البهو وكراسي الردهة ، يستمعون إلى اللحن الناشئ والمغنى الحدث محمد عبد الوهاب وهو يغنى بصوته الرخيم الحانت « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » . وكان شوقي آنس الله وحشته يؤثرني بالرعاية ويخصني بالحديث ، شأنك مع الصديق الجديد والزائر المحتشم .

وفي أصيل اليوم التالي بعث إليَّ بسيارته الفخمة تحملني إلى داره ؛ وكانت الدار حين دخلتها ساكنة كالصومعة ، رهيبة كالمعبد ؛ فمن رآها ليلة الأمس ثم رآها عصرية اليوم تذكر حال السكران الطافح ترنحه الخمر فيعربد ، ثم يهوِّده الخمار فينام .

كان شوقي جالساً في ركن من الشرفة ومعه على المائدة الصغيرة حافظ وعبد المطلب وحفني محمود ، فلما أخذت موضعي من المجلس قال شوقي إنما دعانا على هذا الوضع من اختلاف السن والذوق والثقافة لنقرأ توقيته التي نظمها للمهرجان . وأخذ حافظ يقرأ القصيدة فنقف عند كل بيت ، ننظر في سياقه وموسيقاه ، ثم نروِّي في معانيه وألفاظه ، فربما استبدلنا لفظاً بلفظ ، وآثرنا عبارة على عبارة ، وذوق الشاعر العبقري من وراء أذواقنا جميعاً ، ينقد ويوازن ويفاضل ويختار ، حتى استوى القصيد على فنه الرفيع منضد اللفظ نقي السكشف . وأردنا بعد ذلك أن نسمع حافظاً ، يرد الله بالرحمة ثراه ، فاعتل بعلة لا أذكرها ؛ ولكنه رأى من خلال المناقشة تجانساً بين ذوقي وذوقه فسألني أن أصحبه في العودة . وفي قهوة بميدان الأوبرا كانت موضع ملهى (بديعة) اليوم ، جلست أنا وحافظ رأساً إلى رأس ، يقول في شوقي وأسمع ، وينتثر في النكات وأضحك ، حتى قال : سأنشدك قصيدتي لترى فيها رأيك . وأخذ شاعر النيل يقرأ لي عينيته المشهورة بصوته الفخم وإلقائه المعبر حتى فرغ منها ؛ ثم نظر إلى نظر المستفهم المطمئن المعجَب ، فقلت له : هنيئاً لك التصفيق الحاد والاستعادة المتكررة يا حافظ ! قصيدة شوقي للقراءة وقصيدتك للسماع ، ومعانيه للخاصة ومعانيك للجمهور ! فقال في لهجته الساخرة الفكهة : وهل يعنيني غير الجمهور ؟

توالى اللقاء بيني وبين شوقي بعد ذلك اليوم ، مرة في داره ، ومراراً في (صولت) . وكان كلما أنشأ عبقرية من عبقرياته أقرأني إياها ؛ وذلك شأنه في جميع أطوار عمره : يعرض ما ينقرض على الآذان المتباينة والأذهان المتفاوتة ليعلم موقعه من كل ذوق ، وأثره في كل نفس . وكان أشد ما مكن الألفة بيني وبينه مشابه في الطبع من فرط الحياء ، وحب العزلة ، وقلة الكلام ، والانقباض في الندي الحافل ، والابتعاد عن الحمل الجامع ؛ فكأن كلاً منا كان يرى في الآخر عزاء عن نقصه وعوضاً من حرمانه .

كان شوقي يرى كأكثر الناس أن الرجل إذا لم يعمل في الحكومة كان أشبه بالمتشرد . لذلك كان قلقاً على من هذه الناحية ، فهو يستكبرني على العمل الحر ، ويعجب ألا يكون لي مكان في وزارة المعارف . ثم أخذ يسعى من وراء علمي لدى وزير المعارف علي الشمسي باشا ويمهد لي السبيل للقائه . وفي ذات ليلة من لياليه قال لي ونحن في ركن من أركان صولت : سأنتظرك غداً هنا في الساعة الحادية عشرة ، فتعال ومعك مجموعة من كتبك لنزور وزير المعارف : فقلت له : وما شأني بوزير المعارف ؟ فقال إنه يود أن يراك ، ولعل من الخير أن تراه . فلما دخلنا على الوزير في الموعد الموقوت قدمني وكتبي إليه ، فسلم الرجل تسليم البشاشة ، وشكر شكران الغبطة . وجرى في حضرته حديث عن استجاز شوقي فيه ما لا يجوز إلا للشاعر من المبالغة في المدح والمجاملة في الثناء . ولما خرجنا من عنده ربت على كتفي وقال وهو مبتهج : لقد وعدني الوزير أن يضمك إلى الوزارة ! فقلت له ولم أدهش لأني حزرت ذلك من قبل : أهذا جشمت نفسك ياسيدي ونفسي ؟ حدَّ الله مابيني وبين الحكومة ! لقد حاول هذه المحاولة منذ أربع سنين طاهر باشا نور وعبد الفتاح باشا سبري فجذبت عناني من يديهما ومضيت . وأراد صديق طه حسين وأستاذي لطفي السيد أن يدخلاني الجامعة منذ سنتين فلذت بالفرار بعد صدور القرار . أنا يا سيدي أستاذ في الجامعة الأمريكية ، مرتبي ضخم ومكاني مرفوع ورأيي مسموع وحريتي مطلقة . فهل تراني أن أدع الطريق الذي قطعت أكثره إلى طريق أبداه من جديد ، وأن أعمد إلى رجلي الطليقتين فأضعهما في قيد من حديد ؟

ولكن شوقي الصديق الشفيق لم يرض هذا المنطق ، فظل مشفقاً علي من العمل الحر حتى رحلت عن هذا البلد ، فودعني راضياً وما كنت أدري والله أنه وداع الأبد !

(القاهرة) جرجس الزيات